كلية الألسن

قسم اللغة العربية

شرح الحكم العطائية لابن عباد النفزي وعبد الرؤوف المناوي ومحمد البوطي

دراسة نقدية في ضوء نظرية التلقي

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

دينا محمد فهمي عيسى

المدرس المساعد بالقسم

إشراف

الأستاذ الدكتور/ نجوى عمر كامل

أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية

كلية الألسن

جامعة عين شمس

الدكتور/ حنان يوسف عز الدين

مدرس الأدب والنقد المتفرغ بقسم اللغة العربية

كلية الألسن

جامعة عين شمس

2019م – 1441هـ

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

فصلت: 33

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى حمدًا طيبًا كثيرًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشكره على جميع فضله، ثم أتوجه بالشكر والتقدير لكل من كان له فضل بعد الله تعالى في خروج بحثي بهذه الصورة. وأخص بالذكر أستاذتيّ:

- أ.د/ نجوى عمر كامل، أستاذ الأدب والنقد ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الألسن، التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث، وكانت نِعم العون، فلها الشكر الجزيل والدعوات بأن يبارك الله في علمها وينفع بها.
- د/ حنان يوسف عز الدين، مدرس الأدب والنقد المتفرغ بقسم اللغة العربية بكلية الألسن، التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث، وأفدت من توجيهاتها، فجزاها الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لكل من:

- أ.د/ إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية بكلية الألسن.
- أ.د/ حسن عبد الرحمن سليم، أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر فرع الزقازيق، ووكيل الكلية للدراسات العليا.

لتفضلهما وقبولهما مناقشة هذا البحث، فلهما جزيل الشكر والامتنان.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فالنص الأدبي يُكتب لكي يُقرأ، وهو ينمو مع الزمن. وهناك منظورات عدة ننفذ من خلالها إلى عالم النص، تختلف تلك المنظورات باختلاف القراء، وباختلاف رؤاهم وتوجهاتهم.

ولقد شغل الحديث عن نظرية تلقي النص الأدبي حيزًا واسعًا في الدراسات النّقدية الحديثة، وهي النظرية التي تهتم بالعلاقة المتبادلة بين النص والقارئ، إيمانًا بما للقارئ من دور فاعل ومهم في صياغة معنى النص.

والنصوص الأدبية تحتوي دائمًا على فراغات لا يملؤها إلا المتلقي، فالنص مُعطى غير تام ينقصه تأويل القارئ، ومخزون التجربة الخاص بالقارئ هو الذي يشكل العملية الأدبية، بمعنى أن القارئ يتلقى النص بوعيه، ويحوله إلى تجربة خاصة به وفق توجهاته وخلفياته.

موضوع الدراسة ومادتها:

اهتم الكثير من الدارسين والشراح بالحكم العطائية، لما لها من قيمة تصوفية كبرى. ومن بين الذين قاموا بشرحها: محمد بن إبراهيم بن عباد النَّفزي الرُندي (733 – 792هـ)، ومحمد عبد الرؤوف المناوي (952 – 1031 هـ)، ومحمد سعيد رمضان البوطي (1347 - 1434 هـ)، وسيقوم البحث بدراسة شروحهم للحكم العطائية في ضوء نظرية التلقي.

وقد اختُصت شروحهم بالدراسة لبيان أثر اختلاف زمن كل شارح وبيئته وفكره في تلقيه لحكم ابن عطاء الله.

فيحاول البحث توضيح كيف تفاعل النص مع جملة من المعايير الاجتماعية والتاريخية والسياسية من خلال عملية القراءة، كما يبحث في ملاءمة طريقة الشرح لما يريده الجمهور في الفترة التي يحيا فيها الشارح.

ومن ثم فمادة الدراسة هي:

1- كتاب غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية لابن عباد النفزي.

2- كتاب الدرر الجوهرية في شرح الحكم العطائية لعبد الرؤوف المناوي.

3- الحكم العطائية شرح وتحليل لمحمد سعيد رمضان البوطي.

أهداف الدراسة:

1- دراسة الشروح الثلاثة في ضوء نظرية التلقي، وهو أمر لم تتجه إليه عناية الباحثين من قبل.

2- الربط بين الشروح والسياق الذي أنتجها، عن طريق توضيح كيف تفاعل النص مع جملة من المعايير الاجتماعية والتاريخية والسياسية من خلال عملية القراءة.

3- الوقوف على وسائل ملء الفراغات التي استخدمها كل شارح من الشراح الثلاثة.

4- ملاحظة مدى استحضار كل شارح لفهم الشروح السابقة عليه في شرحه.

5- الوقوف على أساليب الإقناع التي استخدمها كل شارح، مع توضيح الاختلافات التي تنتج عن اختلاف المتلقي للشرح.

المنهج المتبع في الدراسة:

اتبعت في البحث المنهج التاريخي في إبراز ملامح التلقي في الجانب التنظيري، واعتمدت المنهج التحليلي النقدي في قراءة النصوص وتوجيهها في الجانب التطبيقي من البحث.

أقسام الدراسة:

تنقسم الدراسة بعد المقدمة إلى ستة أجزاء: تمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة.

التمهيد: التعريف بأعلام البحث ومصطلحاته:

ينقسم إلى خمسة أقسام:

1- ابن عطاء الله السكندري.

2- ابن عباد النفزي.

3- عبد الرؤوف المناوي.

4- محمد البوطي.

5- نظرية التلقي، النشأة والتطور.

الفصل الأول: عتبات الشروح:

ويتناول:

1- عتبة العنوان.

2- عتبة كلمة الغلاف.

3- عتبة الإهداء.

4- عتبة المقدمة.

5- عتبة الخاتمة.

الفصل الثاني: الألفاظ والتراكيب.

يتناول هذا الفصل تعامل الشراح مع ألفاظ ابن عطاء الله وتراكيبه في الحكم من خلال ثلاثة مستويات:

1- المستوى المعجمي.

2- المستوى الصرفي والنحوي.

3- المستوى البلاغي.

الفصل الثالث: تلقي المعاني.

وينقسم قسمين:

المبحث الأول: اختلاف الخلفيات وتلقي الأفكار.

المبحث الآخر: وسائل ملء الفراغات.

الفصل الرابع: وسائل الإقناع المنطقية.

ويبدأ بمدخل عن الحجاج مفهومه ووظائفه، ثم يتناول:

1- وسائل الإقناع المنطقية عند ابن عباد النفزي.

2- وسائل الإقناع المنطقية عند المناوي.

3- وسائل الإقناع المنطقية عند البوطي.

الفصل الخامس: وسائل الإقناع البلاغية.

ويتناول:

1- بلاغة ابن عباد النفزي.

2- بلاغة المناوي.

3- بلاغة البوطي.

الخاتمة:

تعرض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وأحمد الله سبحانه وتعالى على عونه لإتمام هذه الدراسة، فما كان فيها من صواب فمن الله، وما كان من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان. والله أسأل سدادًا وتوفيقًا.

تمهيد:

التعريف بأعلام البحث ومصطلحاته

1- ابن عطاء الله السكندري

2- ابن عباد النفزي

3- عبد الرؤوف المناوي

4- محمد البوطي

5- نظرية التلقي

1- ابن عطاء الله السكندري

"هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، الشيخ تاج الدين أبو الفضل الجذامي ثم السكندري الشاذلي."[1]

من أصل عربي، وأصل أجداده من الجذاميين[2] الذين وفدوا إلى مصر واستوطنوا مدينة الإسكندرية بعد الفتح الإسلامي، ولذلك ينسب إلى قبيلة جذام ثم الإسكندرية. وهو مالكي المذهب، شاذلي الطريقة، ويعد أحد أركان الطريقة الشاذلية الصوفية التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي.

لا أحد يعرف على وجه التحديد السنة التي ولد فيها، ولكن ما وصل إلينا هو أنه ولد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وتوفي بالقاهرة سنة 709 هـ.[3]

كانت مدينة الإسكندرية في عصر ابن عطاء الله مركزًا مهمًا من المراكز العلمية بالقطر المصري، وكان بها كثير من خيرة العلماء في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم العربية الإسلامية، فتتلمذ ابن عطاء الله على يد كبار علماء عصره في مختلف العلوم، بحيث يمكن القول إنه قد تهيأت له باتصاله بهم ثقافة لغوية فقهية أصولية شاملة.[4]

ملامح الحياة الدينية في عصره:

عاش ابن عطاء الله في النصف الأخير من القرن السابع الهجري، والعقد الأول من القرن الثامن، ولقد سجل المقريزي للحالة الدينية في مصر في هذه الفترة قائلاً: "فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ولى بمصر والقاهرة أربعة قضاة، وهم: شافعي، ومالكي، وحنفي، وحنبلي، فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة، وعقيدة الأشعري[5]."[6]

---

(1) طبقات الصوفية، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، الطبقات الكبرى: زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ج3، ص8.
(2) نسبة إلى قبيلة جذام اليمنية.
(3) راجع ابن عطاء الله السكندري وتصوفه: أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1969م، ص12.
(4) راجع السابق ص 20.
(5) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري.
(6) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1987م، ج2، ص302.

ملامح الحياة الاجتماعية والسياسية:

عاش ابن عطاء الله في ظل حكم دولة المماليك، وكانت الحياة السياسية في مصر في ذلك الوقت غير مستقرة، وكان نظام الحكم استبداديًا ينفرد فيه السلاطين بجميع السلطات، وكان سكان مصر ينقسمون إلى طبقتين متمايزتين: طبقة المماليك، وهي الفئة القليلة من الحكام العسكريين الذين يمثلون الأرستقراطية الحربية، وطبقة العامة من المصريين، ولم يكن لهم أي سلطة في حكم البلاد. وكان هناك إلى جانب هاتين الطبقتين طبقة ثالثة هي طبقة العلماء من الفقهاء والصوفية، وهي وإن كانت من الشعب إلا أن أفرادها كانوا يتمتعون باحترام الحكام، وكان ابن عطاء الله من هذه الطبقة الثالثة، وكان يرى أن من أهم واجبات الصوفي نصح الملوك بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والرحمة بجميع العباد، والشفقة بالفقراء، وتقديمهم على الأغنياء وأبناء الملوك والأمراء.

وقبل البدء في الحديث عن موقف ابن عطاء الله من التصوف والصوفية، يجب الإشارة إلى مراحل تطور التصوف قديمًا.

مراحل تطور التصوف[1]:

المرحلة الأولى في نشأة التصوف هي التي تسمى بمرحلة الزهد، وهي الواقعة في القرنين الأول والثاني الهجريين، وكان فيها أفراد من المسلمين لهم طريقة زهدية في الحياة تتصل بالمأكل والملبس والمسكن، مع اهتمامهم بالعمل من أجل الآخرة.

ومنذ القرن الثالث للهجرة نجد الصوفية وقد غلب عليهم الاهتمام بالأخلاق في علمهم وعملهم، وصار التصوف على أيديهم علمًا للأخلاق الدينية، وكانت مباحثهم الأخلاقية تدفعهم إلى التعمق في دراسة النفس الإنسانية ودقائق أحوال سلوكها، وكانت تقودهم أحيانًا إلى الكلام عن الذات الإلهية من حيث صلتها بالإنسان وصلة الإنسان بها. ونشأ عن ذلك علم للصوفية يتميز عن علم الفقه وعلم الكلام، له لغته الاصطلاحية الخاصة، وصار علم التصوف علمًا مدونًا بعد أن كانت الطريقة

(1) التصوف هو فلسفة حياة، وطريقة يستخدمها الإنسان لتحقيق كماله الأخلاقي وعرفانه بالحقيقة وسعادته الروحية. وهو علم له أسس بُني عليها، وهي: 1- معرفة عقائد الإيمان، 2- معرفة الأحكام الفقهية، 3- العمل بمقتضى العلم، 4- الإخلاص في العمل.
والتصوف نوعان: أحدهما ديني سُني، والآخر فلسفي.
والتصوف السني هو التصوف الذي تتفق أفكاره مع ما جاء في الكتاب والسنة، أما التصوف الفلسفي فهو التصوف النظري الذي يعمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية.
راجع مفهوم التصوف: عبده غالب أحمد عيسى. ومدخل إلى التصوف: التفتازاني. ومدخل إلى التصوف الفلسفي: إبراهيم إبراهيم محمد ياسين.

عبادات فقط. وأخذ بعض شيوخ التصوف في القرن الثالث والرابع الهجريين يجمعون حولهم المريدين من أجل تربيتهم، فتكونت لأول مرة الطرق الصوفية في الإسلام، التي كانت آنذاك بمثابة المدارس التي يتلقى السالكون فيها آداب التصوف علمًا وعملاً. وظهر في القرن الثالث الهجري أيضًا الكلام في الفناء الصوفي على يد البسطامي، ونوع من التصوف يمثله الحلاج.

ثم جاء الإمام الغزالي في القرن الخامس الهجري فلم يقبل من التصوف إلا ما كان متفقًا تمامًا مع الكتاب والسنة، وراميًا إلى الزهد وتهذيب النفس وإصلاح أخلاقها. ومنذ القرن السادس الهجري أخذ نفوذ التصوف السني في العالم الإسلامي يزداد بتأثير عظم شخصية الغزالي. وظهر صوفية كبار كونوا لأنفسهم طرقًا لتربية المريدين منهم السيد أحمد الرفاعي المتوفى سنة 570 هـ، والسيد عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة 651 هـ، وكانا متأثرين بتصوف الغزالي. وفي الوقت نفسه ظهر في القرن السادس الهجري أيضًا مجموعة أخرى من شيوخ التصوف الذين مزجوا تصوفهم بالفلسفة، مثل السهروردي المتوفى سنة 549 هـ، ومحيي الدين بن عربي المتوفى سنة 638 هـ، وعمر بن الفارض المتوفى سنة 632 هـ، وعبد الحق بن سبعين المرسي المتوفى سنة 669 هـ، ومن نحا نحوهم في التصوف. وبظهورهم أصبح في التصوف الإسلامي تياران: أحدهما سني يمثله صوفية القرنين الثالث والرابع الهجري خصوصًا، ثم الإمام الغزالي، ثم من تبعهم من شيوخ الطرق الكبار، وكان تصوف هؤلاء جميعًا يغلب عليه الطابع الأخلاقي العملي، والآخر فلسفي يمثله من ذكر من متفلسفة الصوفية الذين مزجوا التصوف بالفلسفة. وقد أثار متفلسفة الصوفية حفيظة فقهاء المسلمين، واشتدت الحملة عليهم لما ذهبوا إليه من القول بالوحدة الوجودية، وكان أبرز من حمل عليهم ابن تيمية المتوفى سنة 728 هـ.

ثم ظهر في القرن السابع الهجري شيوخ آخرون ساروا على نهج الغزالي، أبرزهم أبو الحسن الشاذلي المتوفى 656 هـ، وتلميذه أبو العباس المرسي المتوفى سنة 686 هـ، وتلميذهما ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة 709 هـ، وهم أركان المدرسة الشاذلية في التصوف، ويعتبر تصوفهم امتدادًا لتصوف الغزالي السني. [1]

ولقد مر ابن عطاء الله بثلاث مراحل في حياته: مرحلتان منهم بمدينة الإسكندرية، ومرحلة ثالثة في مدينة القاهرة. [2]

(1) راجع مدخل إلى التصوف الإسلامي: أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، ص17.
(2) راجع ابن عطاء الله السكندري وتصوفه: التفتازاني، ص 18.

المرحلة الأولى هي الواقعة قبل سنة 674 هـ، وكان فيها ابن عطاء الله طالبًا لعلوم عصره الدينية على خيرة أساتذتها في ذلك الوقت، "وكان ينكر فيها على الصوفية إنكارًا شديدًا تعصبًا لعلوم الفقهاء."[1]

المرحلة الثانية تبدأ من سنة 674 هـ، وهي السنة التي صحب فيها أبا العباس المرسي، وتنتهي بارتحاله من الإسكندرية إلى القاهرة، وفيها تصوف على الطريقة الشاذلية حينما زال إنكاره للصوفية بعدما لقي أستاذه المرسي وأعجب به إعجابًا شديدًا وأخذ عنه طريق الصوفية. واستمر في طلب العلوم الدينية وقام بتدريسها أيضًا، وكان يخشى في بادئ الأمر أن تؤثر عليه صحبته لشيخه فتحول بينه وبين طلب العلم، حتى اقتنع بأن صحبة الصوفية في طريق الشاذلية لا تتعارض مع الاشتغال بأمور الدنيا، ولا تقطع صاحبها عن حياة المجتمع الذي يعيش فيه.

"وتتلخص تعاليم الطريقة الشاذلية التي ينتمي إليها ابن عطاء الله في أصول خمسة: تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، والإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء."[2]

المرحلة الثالثة تبدأ من بداية إقامته في القاهرة، وتنتهي بوفاته، وهي مرحلة نضج واكتمال فكره الصوفي والفقهي.

صحب ابن عطاء الله السكندري شيخه أبا العباس المرسي اثني عشر عامًا، وتلقى عنه الطريقة الشاذلية، فكان بذلك خاضعًا في حياته الصوفية لما يخضع له السالكون من إشراف شيخ مرشد بصير عارف بالطريق إلى الله، ولما يصطنعونه من مجاهدة النفس ومحاربة الخواطر المذمومة بغية التوصل إلى الكمال الأخلاقي.

وبعد وفاة الشيخ أبي العباس المرسي سنة 686 هـ أصبح ابن عطاء الله وارث علمه، والقائم على طريقته والدعوة لها من بعده.[3]

ولم يترك الشاذلي مصنفات في التصوف ولا تلميذه أبو العباس المرسي، فكان ابن عطاء الله أول من جمع أقوالهما ووصاياهما وأدعيتهما وترجم لهما، فحفظ بذلك تراث الطريقة الشاذلية من الضياع، ثم كان إلى جانب ذلك أول من صنف مصنفات

(1) ابن عطاء الله السكندري وتصوفه: التفتازاني، ص 19.
(2) السابق ص59.
(3) راجع السابق ص 48.

كاملة في بيان آداب الطريقة النظرية والعملية، ومن هنا جاءت أهميته البالغة في الطريقة والتعريف بها وبقواعدها لكل من جاء بعده.[1]

وقد تتلمذ على يد ابن عطاء الله جملة من الفقهاء والصوفية، من أشهرهم الإمام تقي الدين السبكي المتوفى سنة 756 هـ، والشيخ داوود بن عمر بن إبراهيم الشاذلي المعروف بابن باخلا المتوفى سنة 733 هـ، والشيخ أبو العباس أحمد بن الميلق السكندري المتوفى سنة 749 هـ، كما أخذ عنه أيضًا الشيخ أبوالحسن علي القرافي.[2]

ويشير التفتازاني في كتابه[3] أنه بعد ملاحظة واستقراء لأقوال صوفية مصر ومذاهبهم – سواء منهم من كان مصريًا أو وافدًا إلى مصر - منذ القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري، وجد ما يلي:

1- لم يقل واحد منهم بوحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد، ويُرجع هذا إلى البيئة المصرية التي عاشوا فيها، والتي يتمسك أهلها دائمًا بالكتاب والسنة، ويرفضون كل ما يجانبهما من أفكار وعقائد.

2- يمثل تصوفهم – في رأيه – التصوف الإسلامي الخالص الذي يخلو من الدخائل الأجنبية، وهذا راجع إلى أن مصر كانت بعيدة عن تيارات الأفكار والمعتقدات الأجنبية الفارسية والهندية.

3- يجمع صوفية المصريين طابع خاص وهو العناية بالجانب العملي الخلقي من التصوف أكثر من العناية بالخوض في المسائل النظرية الصوفية، ولم يظهر صوفية مصريون مهتمون بالمسائل النظرية. والدليل على اتجاه صوفية مصر إلى الجانب العملي الخلقي وعدم رضاهم عن أصحاب النظريات المسرفة الموهمة، أن محيي الدين بن عربي، وصدر الدين القونوي حينما جاءا إلى مصر لم يجدا لدعوتهما بين صوفيتها صدى يذكر. وعلى العكس من هذا لقي المبشرون بالطرق الصوفية الذين كانت دعوتهم عملية خلقية، كالواسطي والبدوي والدسوقي والشاذلي، لدعوتهم صدى وقبولاً، ثم شيوعًا وانتشارًا منذ القرن السابع الهجري وإلى الآن.

وما يصدق على صوفية المصريين يصدق بالتالي على ابن عطاء الله السكندري:

1- فهو غير قائل بوحدة الوجود ولا الحلول ولا الاتحاد بين الخالق والمخلوق، وهو متقيد إلى أبعد حد بمذهب أهل السنة، يقول السيوطي مصورًا اتجاهه في الالتزام

(1) راجع ابن عطاء الله السكندري وتصوفه: التفتازاني، ص 59.
(2) راجع السابق ص 27.
(3) راجع السابق ص64.